الإسْـرَاء

أيّ نُـورٍ قَـدْ عَـانَقَتْـهُ السّمَاء
أيَ سِرٍ قَـدْ ضَـاقَ عَنْـهُ الفَضَـاءُ ؟
أيّ نَفْـحٍ سَرَى وَأي طُيُـوبٍ
غَـرِقت فِي أشْـذَائِهَـا الأشـذَاءُ ؟
خَـدَثٌ فِي الجَـزِيـرَةِ قَـدْ كَـا
نَ حَـدِيثـاً لَمْ تَـرْوِهِ أنْبَـاء
حَـدَثٌ أدْهَـشَ العُقُـولَ وَتَـاهَت
فِـي مَـدَاهُ الأفْكَـارُ وَالآرَاء
كَيْفَ يَسْمُـو إلَى السّمَـاوَات إنْسَـا
نٌ وَيَعْلُـو بِـهِ إلَيْهَـا ارْتِقَـاء ؟
كَيْفَ يَطْـوِي المَسَـافَـاتِ كَـالبَـرْ
قِ وَتُخْفِي إسْـرَاءَهُ الظّلَمَـاء ؟
سَـابِحـاً فَـوْقَ مَـرْكَبٍ مِن ضِيَـاء
تَتَـوارَى أمَـامَـهُ الأضْـوَاءُ
شَهِـدَ الكَـوْنُ يَـوْمَ مَسـرَاهُ عُـرْسـاً
لَمْ تُشَـاهِـده قَبْلَ ذَاكَ السّمَـاءُ !
زَعَمُـوا أنّ رَبَّـهُ قَـدْ جَفَـاهُ
وَتَخَلَّى عَـنْ قَلْبِـهِ الإيحَـاءُ

فَـــدَعَـــاهُ رَبّ السَّمَـــاء وَأدْنَـــا
هُ إلَيْـــــهِ وَحَبَّـــــذَا الإدْنَـــــاءُ
وَرَأىٰ مَـــا رَأىٰ بِعَيْنَيَ بَصِيـــرٍ
يَقِظٍ قَـــدْ أُزِيحَ عَنْـــهُ الغِطَـــاءُ
لَمْ يَكُـنْ مَـا رَآهُ حُلْمـــاً وَلاَ كَـــا
نَ افْتِـــرَاء كَمَـــا ادّعَى الأدْعِيَـــاءُ
وَقَفَتْ حَـــوْلَـــهُ المَـــلاَئِكَ أرْتَـــا
لاَ وَصَلَّىٰ مِـنْ خَلْفِـــهِ الأنْبِيَـــاءُ
وَسَمَـــا وَالأمِينُ جِبْـرِيلُ حَتَّى انْـــ
ـــتَهَيَا حَيْثُ لاَيَكُـونُ انْتِهَـــاءُ !
وَتَلَقَّىٰ أوَامِـــرَ اللَّـــهِ تَكْلِيفـــاً
يُلَقَّى لِفَـــاعِلِيـــهِ الجَـــزَاءُ
فَتَعَـــالَى مَنْ لَيْـسَ يُعْجِـــزُهُ شَـيْ
ءٌ وَمَنْ لَيْـسَ يَحْتَـوِيـــهِ فَضَـــاءُ
يَعْـرِفُ الكُـلُّ مَنْ نَـدَاهُ وَيُـــدْنِي
مَنْ سَنَـــاهُ مَنْ يَصْطَفِي وَيَشَـــاءُ
رِحْلَـــةٌ لِلْحَبِيبِ فِـي جُنْحِ لَيْـلٍ
نَـالَ فِيهَـا الرِّضَىٰ وَطَـابَ اللِّقَـاءُ !
وَأفَـــاقَتْ قُـــرَيْشُ ذَاتَ صَبَـــاحٍ
بِعُيُـــونٍ لَمْ يُجْلَ عَنْهَـــا العَمَـــاءُ

أنْكَـرْت مَـا رَأى الـرَّسُـولُ وَظَنَّت
أنَّـــهُ مِنْـــهُ لَـــوثَـــةٌ وَادعَـــاءُ
وَصَفَ العِيــرَ فِي الطَّـــرِيقِ إلَيْهِم
وَبَعِيـــــراً لَهُم بِـــهِ سِيمَـــــاءُ
وَأرَاهُم فِي القُـــدْسِ مَـــا قَـــدْ رَآهُ
يَـــوْمَ أسْـــرَىٰ فَـأرْجَفَ الأشْقِيَـاءُ
كَيْفَ تَـرْضَىٰ تَكْذِيبَـهُ وَهْوَ مَن عَـا
شَ أمِينـــاً تَـــزْهُـــو بِـــهِ الأُمَنَـــاءُ
مَثَـــلٌ فِـي مَكَـارِمِ الخُلْقِ عَـــالٍ
لاَ يُسَـــــامَـىٰ وَقِمَّـــــةٌ شَمَّـــــاءُ
مَنَ دَعَـــا لِلسَّـــــلاَمِ وَالحُـب حَتَّى
أمِنَت صَـــوْلَـــةَ الـــذِّئَابِ الشَّـــاءُ !
وَمَحَـا بِالإسْـلاَمِ مَـا كَان مِنْ بَغْـــ
ـــيٍ وَمَيـــزٍ تَحْيَـا بِـــهِ الأقْـوِيَـاءُ
وَتَهَـــاوَت أصْنَـامُ مَكّـــةَ صَـــرْعَى
وَتَـــوَارت أشْبَـــاحُهَـا الشّـــوهَـــاءُ
وَاعْتَلَىٰ فَـــوْقَهَـــا بِـــلاَلُ فَأمْسَتْ
وَلَـــهُ فِي بِطَـــاحِهَـــا أصْـــدَاءُ !
طَهَّـــرَ اللَّـــهُ مِنْ دُمَـــاهَـــا ثَـرَاهَـــا
وَاعْتَلَى لِلتّـــوْحِيـــدِ فِيهَـــا اللّـــوَاءُ

يَـا نَبِـيَّ الهُـدَى وَيَـارَحْمَـةَ اللَّـهِ
التِي يَحْتَمِـي بِهَـا الـرُّحَمَـاءُ
أنْتَ طَـوْقُ النّجَـاةِ فِي كُـلّ خَطْبٍ
يَعْتَـرِينَـا وَالبَلْسَمُ الشفَّـاءُ
بِكَ قَـامَت شَـرِيعَـةُ اللَّـهِ فِي الخَلْـ
ـقِ وَسَـارَت بِهَـدْيَكَ الخُلَفَـاءُ
وَجَـدُوا الأمْنَ فِي ظِـلاَلِكَ وَالعَـدْ
لَ وَعَـاشُـوا وَهُـمْ جَمِيعـاً سَـوَاءُ
أنْتَ مَنْ حَـرَّرَ العُقُـولَ وَاحيَـا
أمّـةً لَـمْ يَكُنْ بِهَـا أحْـيَـاءُ !
بِكِتَـابٍ بَيَـانُـهُ أخْـرَسَ اللُّسُـ
ـنَ وَحَيَّـا إعْجَـازَهُ البُلَغَـاءُ
كَـانَ أمْضَى مِنْ كُلّ سَيْفٍ وَأجْـدَى
مِنْ حُـرُوبٍ تُـرَاقُ فِيهَـا الـدِمَـاءُ !
قَـدْ دَعَـا بِالْحُسْنَى إلَـى اللَّهِ فَـانْقَـا
دَتْ نُفُـوسٌ أوْدَتْ بِهَـا الكِبْـرِيَـاءُ
وَتَفَشّتْ شَـرِيعَـةُ الغَـابِ فَـالنّـا
سُ ذِئَابٌ إلَى الـدِمَـاء ظِمَـاءُ !
وَدَّعَ النّـاسُ حِقْبَـةً وُئِدَت فِيـ
ـهَا بَنَـاتٌ وَبِيعَ فِيهَـا نِسَـاءُ !

كُنْتَ كَـــالْغَيْثِ جَـــادَ وَأحْيَـــا
بَعْـــدَ مَـوْتٍ فَـــاخْضَـرَّتِ الغَبْـــرَاءُ
وَخِتَـــامـــاً مُبَـــاركـــاً لِكِتَـــابٍ
أنْتَ فِيـــــهِ الإكْلِيلُ والطّغْـــــرَاءُ
تَتَـوالَىٰ ذِكْـرَاكَ وَالقُـدْسُ فِي القَيْـــ
ـــدِ جَـــرِيحٌ يَحْتَلُّـــهُ الغُـــرَبَـــاءُ
يَتَمَنّى يَـــوْمَ الخَـــلاَصِ وَيَـــرْنُـــو
لِغَـــدٍ خَطَّ نَهْجَـــهُ الشهَـــدَاءُ

* ● *

فَأغِـث أُمَّـــــةً بِـــــدِينِكَ تَحْيَـــــا
وَلأبْنَـــــائِهَـــــا إلَيْكَ انْتِمَـــــاءُ
ضَعُفَتْ بِـــالْخِـــلاَفِ فَهْيَ شَتَـــاتٌ
وَهْـــوَ فِي كُلِّ مَـــا تُعَـانِي الـــدَّاءُ !
يَـــامُجِيـــراً إذَا الأحِبَّـــةُ جَـــارُوا
وَصَـدِيقـاً إنْ خَـانَنَـا الأصْـدِقَـاءُ ؟
كَيْفَ نُثْنِي وَأنْـتَ مَن كَـرَمَ اللـــهُ
وَوَافَـــاهُ مِـنْ سَمَـــاهُ الثَّنَـــاءُ ؟
فَسَـــلاَمٌ عَلَيْكَ مَـــاحَلَّ عِيـــدٌ
وَتَغَنَّى بِمَجْـــدِكَ الشُعَـــرَاءُ !